منهـج الصـفدي النقـدي

الأستاذ المساعد الدكتور
كاظم فضيل شاهر
Kathem.ahaher@qu.edu.iq
الباحثة
سجا كريم كاظم جاسم
جامعة القادسية ـ كلية التربية
Mustafasaja1152@jmail.com

The Critical Approach of Al-Safadi

Asst. Prof. Dr.
Kadim Fadil shaher
Researcher
Saja Kareem Kdim Jasim
Qadisiya University - College Of Education

الملخص:

الصفدي من علماء العربية المعروفين ومن أدبائها ونقادها البارزين، وقد خُصصت هذه الدراسة للوقوف على منهجه النقدي، وتضمنت عرض مصادر هذا المنهج التي توزعت بين الوقوف على نشأته وبيئته التي رسمت معالم شخصيته النقدية ومعرفة اساتذته ألذين تتلمذ على ايديهم وصقلوا هذه الشخصية من خلال حلقات الدرس التي حضرها رسخت ورسخت موهبته النقدية، ثم عززنا الدراسة بالإشارة إلى شيء من وقفاته النقدية في اللغة والأدب، وشفعناها ببيان ما لهذه الشخصية من فوائد وبصمات مشرقة في هذا الباب وما عليها من عيوب وهنات محدودة.

الكلمات المفتاحية: الصفدي، المعايير النقدية، المذهب النقدي.

Abstract:-

Al-Safadi is one of the well-known Arab scholars. He is also a famous writer and eminent critics. This study is fully devoted the process of examining his critical approach. This study is also included presenting the sources of the approach which are distributed on dealing with the his origins as well as his environment which is considered as the main reason for drawing up the features of his critical personality and the knowledge of his mentors (who were responsible for disciplining him) hands) refined his character which was made through the seminars that he attended. Later, those seminars are lead to establish his critical character. The study is also strengthened by referring to something of his critical stances in the language and literature, it also interceded with a presentation of the benefits and bright impacts of his character alongside of the defects and the limited insults. May God grant success.

Keywords: Al - Safadi, Critical standard and critical school.

مقدّمة:

كان الصفدي واحداً من أبرز علماء ونقّاد القرن الثامن الهجري صاحب التصانيف المنيفة والأوتار الشريفة، فقد كان ولعه بالتصحيح والتصويب اللغوي وتوليف كثير من مظان العربية في اللغة والأدب وبسطه القول في موضوع النقد الذي شغل مساحة واسعة من عطائه السبب الأوّل في توجيه بوصلتي نحو دراسة منهج النقد عنده جاعلة مسرح عملي ساحة اثاره المطبوعة ومركزة على المظان التي تدور في فلك النقد اللغوي وهدفي من ذلك هو الوقوف على أبرز معالم شخصيته النقدية في موضوع اللغة، وجاء البحث على عدة محاور المحور الأوّل كان بعنوان بيئة الصفدي وثقافته الموسوعة وتناول هذا المحور نشائته ومعالم شخصيته وتكوينه الثقافي، وقد اشتمل على أقوال العلماء فيه وأعماله ومن ثمّ روافد ثقافته المتمثلة بالشيوخ والأساتذة الذين تتلمذ على يديهم الصفدي واخذ من علمهم وثقافتهم، وانتهى بإبراز مؤلفاته وكتبه.

والمحور الثاني كان بعنوان مذهب الصفدي النقدي تناول النقد الأدبي واللغوي واتجاهاتهما والمحتكم النقدي عند العرب. وأمّا المحور الثالث فقد كان بعنوان مزايا النقد وعيوبه عند الصفدي بيّنت فيه أبرز المزايا والعيوب التي كانت في النقد اللغوي عند الصفدي، وانتهى البحث بخاتمة بيّنت فيها ابرز نتائج البحث. هذا والله الموفق.

المحور الأول

بيئة الصفدي وثقافته الموسوعية

أولاً: نشأته:-

هو الشيخ الإمام الأديب البارع الناظم الناثر صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن الأمير عز الدين أيبك بن عبد الاله الألبكي الصفدي الشافعي.

ولد في صفد في فلسطين سنة(٦٩٦هـ -١٢٩٦م) وإليها نسبته. رحل إلى دمشق وتعلم هناك[1]، وكان والده من أمراء المماليك. فاثّر ذلك في تنشئته وتعليمه.

وكان الصفدي من الموهبين إذ تفتحت موهبته منذ صباه، فعانى صناعة الرسم فمهر فيها، وحفظ القرآن العزيز في صغره، وتميز بالخط الجيد، وقرأ على علماء عصره إلى أن برع

وسار في الرسائل والنظم والنثر، وشارك في الفضائل، وقرأ الحديث وكتب الطباق، وبرع في النحو واللغة والأدب والانشاء[٢].

ثانياً:- معالم شخصيته وتكوينه الثقافي: -

أ- أخلاقه وأقوال العلماء فيه:

يجمع الذين ترجموا له على تحليه بالأخلاق الحميدة والصفات الطيبة ممّا جعله محبوباً بين الناس متواضعاً ينقل ذلك صديقه تاج الدين السبكي(ت ٧٧١هـ) قال:(كانت بيني وبينه صداقة منذ كنت صغيراً، فإنه كان يتردد إلى والدي فصحبته ولم يزل مصاحباً لي إلى أن قضي نحبه)[٣]، وقال أيضاً: (كانت له همة عالية في التحصيل فما صنف كتاباً إلّا وسألني فيه عمّا يحتاج إليه من فقه وحديث وأصول ونحو)[٤]، فضلاً عما دار بينهما من مكاتبات ومراسلات تنم عن روح الصداقة والمودة.

يتبين من ذلك إنّ الشيخ كان محباً إلى الناس طيب السمعة متحلّياً بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة. فضلاً على إجادته من علوم اللغة والأدب والدين والصناعة مما نطق به معاصروه وأفاضوا فيه.

ب- أعماله:

أشرنا إلى أن الصفدي تملك موهبةً نادرةً منذ صباه في صناعة الرسم، وحفظ القرآن، وأجاد الخط، وقرأ على علماء عصره إلى أن برع وسار في الآداب وعلوم اللغة والبلاغة والانشاء، وأجزم أنّ الظروف التي هُيئت له في عيشه، ونشأته، وتعليمه، ورسم معالم شخصيته، كان لها الدور السلطوي في هذا التأسيس الراسخ لتكوينه الثقافي النقدي.

كان والد الصفدي أحد أمراء المماليك، ونتيجة لذلك عاش الصفدي في رفاهة العيش، وسعة المال فقد ذكر إن أباه لم يمكنه من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنة[٥]، فكان كل دأبه التحصيل وطلب العلم، ولاسيما إذا علمنا أنه يمتلك مواهب عدّة منها أنه كان رساماً ماهراً، ومنها أيضاً إنّ له موهبة في قول الشعر تفتحت منذ صباه، فكتب الشعر والنثر على طريقة أهل عصره.

إلى جانب ذلك فقد رُزق الصفدي بخط جميل حسن ساعده هذا وكل العوامل

السابقة على توليه المناصب في الدولة آنذاك.

وأول الأعمال التي تسلّمها هو كتابة الدرج ببلده صفد سنة (٧١٧هـ)، ثم تولى العمل نفسه في القاهرة. وباشر كتابة السر بمساعدة صديقه تاج الدين السبكي بحلب وقتاً، وبالرحبة وقتاً، والتوقيع بدمشق، ثم تولى وكالة بيت المال وكتابة (الدست) الدرج واستمر بها إلى وفاته[٦].

ثالثاً: روافد ثقافته:-

أ- شيوخه وأساتذته

تتلمذ الصفدي على جمهور صالح من العلماء الذين أثروا شخصيته وصقلوا موهبته، ولا يسعني في هذا الموضع إلّا أن أقف إزاء أهم الشخصيات العالمة التي غرست يداها في تكوينه الشخصي والمعرفي وهم:

١- نجم الدين الصفدي (ت ٧٢٣هـ): الحسن بن محمد الشيخ الأمام الفاضل نجم الدين أبو محمد القرشيّ القرطبي الكركي الصفدي قال الصفدي ((تخرج به جماعة فضلاء، وقلَّ من قرأ عليه ولم يتنبّه ولم ار مثله في مبادئ التعليم... وكان لي منه - رحمه الله- نصيب وافر. واجد منه حنواً كثيراً ولم أقرأ على أحد قبله وكان شديد المحبة لأصحابه شفوقاً عليهم صادق اللهجة مفرط الكرم))[٧].

٢- الشيخ علم الدين طلحة المقرئ النحوي الشافعي (ت٧٢٦هـ): كان يعرف" الحاجبية" جيداً و "مختصر ابن الحاجب" و" التعجيز" قرأت عليه بحلب مدة مقامي بها قطعة جيدة من كتاب البيوع من "التعجيز"[٨]

٣- تقي الدين بن تيمية (ت٧٢٨هـ): أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، قال الصفدي: (اجتمعت به بعد ذلك مرات عديدة و كنت أحضر دروسه ويقع لي في اثناء كلامه فوائد لم أسمعها من غيره ولا وقفت عليها من كتاب) و كان ينصح دائماً بملازمته[٩].

٤- شمس الدين ابن الحافظ(ت٧٣٤هـ): محمد بن داود القاضي شمس الدين ابن الملك الحافظ، قال الصفدي:((قرأت عليه رسالة الإسطرلاب للقاضي بدر الدين

ابن جماعة وأخبرني إنّه قرأها عليه))[١٠]

٥- أثير الدين أبو حيان(٧٤٥هـ): محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشيخ الإمام الحافظ فريد العصر والشيخ الزمان وإمام النحاة قال الصفدي: ((قرأت عليه الأشعار الستة والمقامات الحريرية وحضرها جماعة من أفاضل الديار المصرية وسمعوها بقراءتي عليه وكان بيده نسخة صحيحة يثق بها وبيد الجماعة قريب من اثنتي عشرة نسخة وإحداهن بخط الحريري ووقع منه و من الجماعة في أثناء القراءة فوائد ومباحث عديدة وقال: لم ارَ بعد ابن دقيق العيد أفصح من قراءتك))[١١].

٦- شمس الدين الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الشيخ الإمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (٧٤٨هـ) قال الصفدي: ((اجتمعت به وأخذت عنه وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه ولم أجد عنده جمود المحدثين ولا كودنة النقلة بل هو فقيه النظر. وقد قرأت عليه من المغازي والسيرة النبوية إلى أخر أيام الحسن وجميع الحوادث إلى آخر سنة سبعمائة و" تاريخ النبلاء "و"الدول الإسلامية" و"طبقات القراء" وسماه معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار تناولته منه وأجازني روايته))[١٢]

٧- تقي الدين السبكي(٧٥٦هـ): علي بن عبد الكافي بن علي تمام بن يوسف الإمام العالم، شيخ الاسلام، حبر الأمة، مفتي الفرق المقرئ المحدث.... قال الصفدي: ((ولم أرَ من اجتمعت فيه شروط الاجتهاد غيره منهم العلامة بن تيمية. إلّا إنّ هذا أدق نظراً وأكثر تحقيقاً وأقعد بطريق كل فن تكلم فيه، وما في أشياخه مثله))[١٣].

مؤلفاته:ـ

تعد مؤلفات أي أديب أو متخصص وآثارهما في علم من العلوم وثيقة مهمة للكشف عن شخصيته، وقد نقلت لنا كتب التراجم الكم الوفير من مؤلفات الصفدي، منها ما ثبت نسبتها إليه ومنها ما لم تثبت فطُبع منها ما طبع وما زال بعض منها مخطوطا إلى الآن، وأهمها:

١- نصرة الثائر على المثل السائر ٢- والغيث المسجم في شرح لامية العجم ٣- تحرير التحريف وتصحيف التصحيف ٤- غوامض الصحاح ٥- نفوذ السهم فيما وقع للجوهري

من الوهم ٦- الوافي بالوفيات و هو التأريخ الكبير ٧- أعيان العصر وأعوان النصر ٨- تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون[١٤].

تعقيب واستنتاج:-

ممّا لا شك فيه أنّ الظروف والأحوال التي أطّرت بل آثرت في الصفدي أثمرت في تكوين شخصية موسوعية منظمة أخذت بأطراف جملة من العلوم الدينية واللغوية والعلمية فضلاً على وضع اليد على شيء من الفنون والآداب ومناهج التحقيق والتصحيح وولوج أُمّات المصنّفات لسابقيه ومعاصريه ببصيرة العارف على نحو التنظير والتطبيق انطلاقاً من هذه الثقافة الواسعة التي تجعلنا نقول مطمئنين إنّها تمخّضت عن ناقدٍ امتلك الأدوات التي تسعفه في هذا المضمار، ونظرة سريعة في مدوّناته التي سُقناها في هذا المورد تفصح بلا ريب عن طغيان النزعة النقدية على شخصيتهِ.

وقد توزعت نقداته على وفق هذا المظان - بين مختلف العلوم التي تتصدرها علوم اللغة والبلاغة والأدب ومسارب التحقيق والتوثيق للعلوم فضلاً على ممارسته المباشرة للفنون الشعرية والنثرية والاطلاع الجاد على تحصيل علوم أخرى تُرسّخ الملكة النقدية عند الصفدي.

وفاته:-

توفي بدمشق بمرض الطاعون الذي انتشر في بلاد الشام في ليلة العاشر من شوال سنة (٧٦٤هـ) وصلى عليه صبيحة الأحد بالجامع. ودفن بالصوفية[١٥].

المحور الثاني

مذهب الصفدي النقدي

المذهب: القصد والطريق والمعتقد[١٦]، ونقصد به توجهه النقدي والمنهج الذي اتّبعه والمعايير التي اعتمدها في النقد، وقبل الخوض في ذلك ينبغي أنْ نعرف ما هو النقد؟

أولاً: النقد الأدبي واللغوي واتجاهاتهما:

النقد في اللغة: تمييز الدراهم وإعطاؤها إنساناً وأخذها. وناقد الدنانير الذي يعرف جيدها من مدخولها وفي حديث أبي الدرداء أنّه قال: ((إنْ نقدت الناس نقدوك وإنْ تركتهم

لم يتركوك)) معنى نقدتهم: عبتهم واغتبتهم ومن هذا الباب نقد الدراهم وذلك أنْ يكشف عن حاله في جودة أو غير ذلك[١٧].

أمّا في الاصطلاح: فهو ((فن دراسة النصوص الأدبية والتمييز بين الأساليب المختلفة))[١٨].

ولم تأخذ اللفظة هذا المعنى الاصطلاحي إلّا في العصر العباسي فقد استعارها الباحثون من النصوص الأدبية ليدلّوا بها على الملكة التي يستطيعون بها معرفة الجيد من النصوص واصدار حكم بجودتها أو رداءتها، وما تنتجه هذه الملكة في الأدب من ملاحظات وأحكام مختلفة[١٩].

وليس معنى هذا أنّ النقد لم يكن موجوداً قبل العصر العباسي بل كان في العصر الجاهلي وحتى قبل العصر الجاهلي، فالنقد نشأ مع الأدب أو بعده بقليل، ونقول معه لأنّ الأديب نفسه يمكن أنْ يكون ناقداً لعمله وهو ينشئ الشعر فيقومه و يعدله ويستبدل كلمة بأخرى ويقدم بيتاً على آخر أو مفردة على آخر...، ولنا في تأريخ الشعر العربي ما يؤيد هذا فهناك من الشعراء مثل زهير بن أبي سلمى والحطيئة من يبقي القصيدة حولاً كاملاً يعود إليها بين الحين والآخر معدلاً ومغيراً فهو على هذا النحو ناقداً لفعله[٢٠].

والنقد اللغوي قد ينصرف إلى الجنبة العلمية من وجوه النقد عموماً وقيل هو القائم على نقد الخطأ في الاستعمال اللغوي[٢١].

وقد استدرك الدكتور نعمة رحيم العزاوي هذا التعريف فقال إنّ النقد اللغوي ليس فقط بيان الخطأ والصواب في لغة الأدب كما قد يفهم البعض، وإنّما يتعدى ذلك إلى إنارة مواطن الحسن والتقاط القيم النفسية والشعورية التي تنبض بها الالفاظ والتراكيب[٢٢].

وعلى ذلك فلا يمكن تجريد النقد اللغوي من هذه الشواغل وإلّا وجّهنا عمل الناقد اللغوي نحو الظواهر الفارغة، والقشور المجرّدة من بواطنها أو على نحو ما ذكر أستاذنا المرحوم العزاوي التوجه نحو أجساد بلا أرواح.

والراجح أنّ عمل الناقد اللغوي لا يختلف عن الناقد الأديب في رصد وتقويم المناحي التعبيرية والشعورية مع عناية خاصة بالمحتكمات اللغوية والقوالب والمعايير التي ارساها الروّاد اللغويون في هذا الباب.

والحقيقة إنّ هذا العمل لا يتأتي إلّا لمن رُزق ضربين من المعرفة، الأول: هي التي يمتلكها كل لغوي نحوي وهي المعرفة بكتب النحو والصرف والمعجمات. والآخر: هو معرفه (حس اللغة)، و(وجوه عبقريتها)، و(جوانب طاقاتها الذاتية في الصوت والمفردة والتركيب)، و(وما توحيه الألفاظ أو ما يشع منها من ظلال)، ولا شك أنّ هذا اللون من المعرفة لا يرزقه إلّا القليل، وتُقدمه كتب الأدب ودواوين الشعراء وتزخر فيه كتب النقد والتفسير وأسفار فقه اللغة[٢٣]، وقد تجلى لنا في -ما سبق - أنّ الصفدي كان ملماً ببعض هذه العلوم والمعارف. وتبعاً لذلك ينبغي أنّ يكون نقده نقداً علمياً محكماً ينم عن وعيه وثقافته وغزارة علمه.

فالنقد نشاط إنساني وهو ليس مدحاً أو قدحاً، إنّما هو عملية متشعبة تتناول درس الأثر الفني أو الأدبي واللغوي أو تحليله وإظهار فضائله وعيوبه ومواطن القوة فيه ومواطن الضعف اعتماداً على أهم الأصول الفنية والأدوات النقدية المعروفة وعلى الذوق الذي ثقفته الخبرة[٢٤].

ولا يسعني وأنا بصدد الحديث عن النقد أن أذكر أنّ هناك ثلاث فِرَق أو اتجاهات للنقّاد في الشعر والنقد هما:

الفريق الأول: فريقٌ يتشبث بالماضي بكل ما له من قوة ويحارب التطور الجديد ويتمثل هذا الفريق في رواة الشعر وعلمائه.

والفريق الثاني: ينزع إلى التجديد ليتكيف مع الحياة الجديدة ويتمثل في بعض الشعراء الذين كانت عندهم الشجاعة الكافية للثورة على القديم والاصطدام بالرواة و هم الفئه المهيمنة حينذاك على أذواق الناس وفهمهم لطبيعة الشعر[٢٥].

وفريق ثالث ضمَّ النقّاد الذين قبلوا ما حُمل على الضرورة من أقوال القدماء ولم يجيزوا للمحدثين أنّ يجاروا تلك الأقوال ويتصرفوا في اللغة على نحو ما تصرّف فيها أسلافهم، وقد علل هذا الفريق من النقّاد قبولهم ما بني على الضرورة من كلام الشعراء القدامى بأنّ أولئك الشعراء كانوا يقولون أكثر شعرهم ارتجالاً ولم يرزقوا النقّاد الذين يبصرونهم بالعيب أو يرشدونهم إلى القبيح من الاستعمال ليتجنبوه وينأوا عنه فيما ينظمون[٢٦].

فأين الصفدي من كل ذلك؟

ثانياً: المحتكم النقدي عند الصفدي:-

بما إنّ النقد هو الحكم على العمل الأدبي أو اللغوي وتقييمهما وإبراز جمالهما اللغوي والأسلوبي والأدبي فلابد أن يعتمد أو ينبني على أسس علمية ومعايير فنية حتى يندرج ضمن النقد العلمي المنهجي المتكامل.

ولا شك أنّ الصفدي وعلى وفق ما تملّك من ثقافة واسعة بالاطلاع على كثير من العلوم قد اعتلى أعلى درجات النقد شبه المتكامل ولا أقول المتكامل؛ لأنّ صاحبنا قد غض الطرف عن أشياء تُعدّ من مسلمات هذا الفن نحو مسألة الحداثة و التطور على الرغم من تأخر عصره.

وإحاطته بعلوم اللغة فقهها ونحوها وصرفها وبلاغتها وتاريخ آدابها انضج عقله وهذَّب ذوقه وحسَّن طبعه وأهّله للحكم النقدي المبني على قواعد علمية وقيم موضوعية ولا يؤخذ ذلك على إطلاقه، إذ نجده في بعض المواضع. يطلق الأحكام لا لقواعد علمية موضوعية وإنّما قد يدفعه الهوى إلى التعصب كما فعل مع ابن الأثير وسيأتي توضيح ذلك إنْ شاء الله في الفصول القادمة.

واعتمد الصفدي في نقده اللغوي على عدّة معايير ومحتكمات انطلق منها في نقده، ساعده على ذلك مخزونه الثقافي والفكري الذي أعمله في التعبير عن رؤيته وأفكاره بأسلوب له قواعده الخاصة به، فجاء نقده متلوناً بألوان شتى.

ومن هذا المعايير والمحتكمات:-

١- المعيار الذوقي والنزعة التأثرية غير المعلّلة:-

ونقصد به الذوق الشخصي القائم على ذوق الناقد للنص ولا يرتبط بمنهج محدد. وقضية الذوق الأدبي قضية نقدية تتناول الحسن والقبح في الأثر الفني. اعتماداً على أصول الجمال ويتناول بصورة خاصة النقد البياني(٢٧).

وهذا المعيار قائم على التذوق الفردي كما كان النقد في أول نشأته فهو ذاتي تأثري مرتبط بالإحساس بالجمال ومستمد من خبرة الناقد وثقافته واطلاعه على علوم ومعارف

واسعة، والصفدي يستند إلى الذوق على وفق معايير من ضمن مخزونه الثقافي والأدبي فلابدّ للناقد أن يعتمد على قواعد مبطنة، أو يعتمد على المشهور والمسلّم به بالجودة أو الحسن بالقياس لما هو جديد أو محدث، ويعتمد على الافصح على حساب الفصيح. ويحتكم إلى معايير وقواعد اللغة على وفق ما ورد عن العرب من دون الاعتبار بضوابط الزمان والمكان فكل ما جاءت به العرب فهو صحيح وبخلافه محل ردٍّ أو ضعفٍ.

وأمثلة ذلك كثيرة ومنها قوله: ((قال ابن طباطبا العلوي: (من الخفيف)

وكأنّ النجومَ لما تدانى الـ ... صبحُ أجفانُ مستهامٍ كئيبِ
شاخصاتٍ إلى السماءِ فما تطـ ... رفُ أجفانُها من التعذيبِ
زاهراتٍ كأنّها زمنُ الجا ... هل في حندسٍ كدهرِ الأديبِ[٢٨]

وما أحسن هذا الثالث وألطف تخيله))[٢٩] فنلاحظ كيف أنّه حكم على الشعر من دون وصف أو تحليل أو تعليل فهو يحتفظ بأسباب أعجابة بهذا البيت من دون أن يوضح أبالألفاظ أم بالمعاني أو غيرها.

وعادةً ما يُعبّر بعبارات العذوبة والحلاوة والحسن والقبح مثل قوله:(ما أحسن، و ما ألطف، و نظم منحط، و في غاية الحسن، و ما أفصح، و ما أجمل، وشعر جيد، و شعر متوسط، و شعر مقبول، و رديء، و حسن،... إلخ)[٣٠]، وهذا يسمى توصيف ذوقي انطباعي غير معللّ. وقد يكون في بعض الأحيان معللاً فيه شيء من الوصف نحو قوله في أبيات الصرائري ومقارنتها مع بيت أبي الطيب المتنبي، قال الشاعر محمد بن احمد بن خليفة الصرائري: (من السريع)

ثمّ اعتنقنَا فترَانَا معاً ... في ظلمةِ العتب ونورِ العتابِ
جسمان صارا في الهوَى واحداً ... كشكلتينِ اختلطَا في كتابِ[٣١]

فقال الصفدي: ((أخذ هذا المعنى من أبي الطيب حيث يقول: (من الكامل)

دونَ التعانقِ ناحلينَ كشكلتَي ... نصبٍ أدقهُما وضمَّ الشَّاكل[٣٢]

لكن في قول أبي الطيب زيادات فاتت الصرائري؛ لأنّه قال: شكلتا نصب فهو أخص

من قول ((كشكلتين اختلطا))؛ لأنّ الشكلتين قد يكونا ضمتين أو غير ذلك والأشبه بالمتعانقين إنّما هو النصبتان؛ لأنّهما شكلان ممتدان على الاستواء وقال نصب ولم يقل جر طلباً للمحل الأرفع، وقال ادقهما وضم الشاكل مبالغة في مقاربة الإتّحاد وهو أحسن من قول الصرائري (اختلاطا)؛ لأنّ قول أبي الطيب أقرب إلى الحق))[٣٣].

فنراه يعلل كل مفردة في البيت ويستند إلى ذوقه في التحكيم مع التعليل المستند إلى مرجعيات ثقافية.

٢- التحقيق والتصحيح اللغوي:-

وتعني - هنا - توثيق المفردات والتراكيب بالرجوع إلى ألمدونة اللغوية الموزونة إذ يعتمد الصفدي على النص الأدبي في تحليله ونقده فهو يعتمد أراء سابقيه في هذا المجال فنراه يُمحص النص ويدققه ويوثقه من المصادر ليبين حكمه فيه، من ذلك ما نجده في ردّه على ابن الأثير في قوله ((إنّ كلمة الامة بالكسر فصحية، وقال رأيت صاحب كتاب (الفصيح) قد ذكرها فيما اختاره من الألفاظ الفصيحة، ويا ليت شعري ما الذي رآه من فصاحتها))[٣٤]. ثم زادَ في الحط منه وأكثر من ذلك.

قال الصفدي: ((إنّ أبا العباس ثعلباً-رحمه الله- ما ذكر ذلك إلّا إلتزاماً بورودها لأجل الباب الذي عقده لذلك. فقال: باب المكسور أوّله، والمضموم باختلاف المعنى، فاضطر لذكرها وذكر أمثالها في هذا الباب، من الخِطبة والصِفر والرِحلة والعِشر. إلتزاماً بورود ما جاء في ذلك، وقد يكون المكسور أعذب، وقد يكون المضموم أعذب، وأئمة اللغة إذا قالوا (فصيح) ما يريدون به العذوبةَ والحسن ولا بُدّ. وإنّما يريدون به كثرة الاستعمال، والعذوبة قد تجيء بعد ذلك ضمناً وتبعاً))[٣٥].

وأورد أمثلة وشواهد كثيرة تُعضّد رأيه وتؤيده. فنلاحظ كيف أنّه رجع إلى كتاب (الفصيح) وكيف وثّق النص وبيّن المراد منه ثمّ بعد ذلك قال(أئمة اللغة) فهو يرجع إلى السابقين لِيؤيد رآيه و يوثقه ليعطي حكماً وتقيماً للنص.

ومثله أيضاً ما جاء في جمع (قرواح) عن الجوهري قال: ((ونخلة قرواح والجمع القراوح. قال سويد بن الصامت: (من الطويل)

أدِيـــنُ ومـــا دَيْـــني علـــيكم بمَغـــرَم ولكن على الشُمِّ الجِلادِ القراوح[٣٦]))[٣٧]

فقال الصفدي الصواب فيه أن يقول والجمع القراويح،و البيت الذي أنشده لا حجه فيه؛ لأنّ الشاعر حذف الياء للضرورة كقول الآخر: (من الرجز)

وكحَّل العينين بالعَوَاوِر[٣٨]

وفي قول لبيد: (من الطويل)

وقمتُ مقاماً لم تقمهُ العواور[٣٩]

وقال أبو علي النحوي: إنّما صحت فيه الواو مع قربها من الطرف؛ لأنّ الياء المحذوفة للضرورة مرادة فهي في حكم ما في اللفظ، فلمّا بعُدت في الحكم من الطرف لم تقبل❖ همزة))[٤٠]

فهو هنا رجع في توثيق المسألة إلى أبي علي الفارسي النحوي.

وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي يرجع في توثيقها إلى العلماء واللغويين وهذا أن دلّ فإنّما يدل على اعتداده بالقديم، أي: تمسكه بالمتن القديم وابتعاده عن المتن الحديث والذي يدل بدوره على أنّه معياريٌّ في حكمه.

٣- المعيار البلاغي والتذوق الجمالي (التحليل البياني المُعلّل):-

وفي بعض الأحيان نلحظ تكامل النقد عنده بمعنى تجاوزه لهذه القواعد إلى ذكر آراء نقدية تخص جمالية النصوص وبلاغتها نحو قوله في بيان النظم المنسجم من عدمه، قال: ((وأضرب لك مثلاً يقرب لك معرفة النظم المنسجم العذب الرقيق من النظم المعجرف القلق وهو قول المتنبي: (من الكامل)

وكـذا اسـمُ اغطِيـةِ الجفـون عيونهـا مـن أنّهـا عمـلَ السـيوفِ عوامـل[٤١]

أخذه محمد سبط التعاويذي فقال: (من البسيط)

بـين السـيوف وعينيـه مشـاركة مـن أجلـها قبـل الاغمـاد أجفـان[٤٢]

فأنت ترى عجرفة بيت المتنبي في قوله أغطية الجفون عيونها وقلق تركيبه في قوله عمل

السيوف عوامل، إنْ لم يكن للسامع دربة ودقة نظر وفكر في المعاني لم يقدر يتصرف في إعرابه فينصب عمل على إنّها مفعول اسم الفاعلين؛ لأنّ عوامل جمع عاملة وعاملة صيغة اسم فاعل وكان التقدير: من إنّها عوامل عمل السيوف فاحتاج إلى تقديم وتأخير فأوقع الفاعل في رتبته وأخره وقدم المفعول وأتى بعد اسم أنّ فألبس على السامع حتّى توهّم أنّه خبر لأنّ، ففسد المعنى ولم يستقم إلّا بالتقديم والتأخير مع ما في قوله أغطية الجفون من العجرفة والعامية، وهذا الجمع مفرده أعذب من جمعه في القلة؛ لأنّ قول أبي تمام: (من الطويل)

سَلَبنَا غطاء الحُسنِ مِن حَرِ أوجهٍ تَظَلُّ لنفسِ السالبيها سوالبا[٤٣]

عذب في السمع لذيذ وترى انسجام قول التعاويذي لّما أخذه من المتنبي كيف جاء به حديداً وأعاده ذهبا فيصدق فيه قول الحريري: (من المنسرح)

وأخذ اللفظ فضة فإذا ما ضعته قيل إنّه ذهب[٤٤]

وقول أبي الطيب: (من الطويل)

لو قلت للدنف المشوق فديته ممّا به لأغرته بفدائه[٤٥]

أخذه محمد بن الخياط الدمشقي فقال: (من الطويل)

أغار إذا آنست في الحي أنّه حذاراً وخوفاً أنْ تكون لحبه[٤٦]

فانظر إلى قلق الأول وسهولة الثاني كيف تناول من النظارة عريا ورده زهراً جنيا وقول بشار بن برد: (من البسيط)

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج[٤٧]

أخذه تلميذه سلم الخاسر فقال: (مخلع البسيط)

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور[٤٨]

فتأمل إلى سلم كيف تسلمه ذبالة وأعاده قمراً هالة؛ لأنّه أعذب وقعاً وأسلس طبعاً مع إنّه نقص من الأول تسعة أحرف))[٤٩].

فالصفدي قد تجاوز القواعد وذكر آراء نقدية تخص جمالية النص الأدبي فضلاً على

تنبيهه إلى ظاهرة مهمة في النقد كانت سائدة في الأدب العربي في عصره والعصور التي قبله وهي ظاهرة السرقات الشعرية التي لم يسلم نفسه منها - وسأشير إليه في موضعه - والتي عبر عنها بلفظ الأخذ.

وهذه ابرز المعايير التي أعتمدها الصفدي في نقده والتي نستنتج منها أنّه كان معيارياً في حكمه في بعض الأحيان وتأثرياً انطباعياً في أحيان أخرى.

المحور الثالث

مَزايا النقد وعيوبه عند الصفدي (تقييم وخلاصة)

اتبع الصفدي - كما أسلفنا- منهجاً معيارياً منطلقاً من سطوة التحكمات الذوقية والانطباعية التأثرية الذاتية و مؤطراً بالقواعد اللغوية في تحليل المفردات أو النصوص وتفسيرها أحياناً.

ويظهر أنّ لمنهج الصفدي هذا مزايا وتشكل الأعم الأغلب لنقده، وقد نوّهنا بها في الموارد السابقة، ومثالب أو هنات قد لا تشكل مرتكزاً على ضعف منهجه النقدي وإنْ حجزته عن إعتلاء قمة السلم النقدي أو بعدِّه ناقداً متكاملاً.

أولاً:- مزايا النقد عند الصفدي:-

١- رصد بعض الظواهر اللغوية في ما يتعلق بسلامتها من الخطأ وموافقتها لقواعد اللغة: إذ امتاز النقد عند الصفدي برصده بعض الظواهر اللغوية والحكم عليها بالتصويب أو التخطِئة و حتّى بيان مواطن الحسن والرداءة فيها ومن ذلك فرزه بعض الاستعمالات (الغريبة) التي يجدها تندُّ عن المألوف في المعاني والقياس. كقوله ينقد الجوهري في بعض ما قاس به كلمة (تابوت) في أنّ أصلها (تابوة) مثل ترقوه وهو فعلوة فلمّا سكنت الواو انقلبت هاء التأنيث تاء[٥٠].

قال الصفدي: ((أنّه ذكرَ تصريفاً لذلك لم يقله احدٌ ولا سمع هذا من غيره لأنّ الأصول تدفعه وترده و تأباه و لا تساعد عليه))[٥١].

ومن ذلك أيضاً ما ورد عن ابن الأثير في بعض إنشائه من إستعارة البنان واللسان والعقل والدين إلى الخمر في قوله: ((الخمر لا تفي لذة إسكارها بتنغيص خَمارها فهي

خرقاء البنان بذيئة اللسان وتأنيثها يدلك إنّها من ناقصات العقول والأديان. وقد عُرِفَ منها سُنّة الجَور في أحكامها ولولا ذلك لما استثأرت من الرؤوس بجناية أقدامها وهذا احسن من قول الشاعر واغرب وألطف لأنّه قال:

ذكـــرت عقائـــدها القديمـــة اذ غـــدت ... زمنـــــــاً بأرجـــــــل العصـــــــاري

لانـــت لهـــم حتّـــى انتشـــوا وتمكنـــت ... منـــهم فصـــاحت فـــيهم بالثـــار[٥٢]))[٥٣]

قال الصفدي: ((أمّا إضافة البنان واللسان و العقل والدين إلى الخمر فإنّه من الغريب وأغرب من ذلك أن جعل للرؤوس أقداماً وأغرب من هذين كونه يدعي أنّ كلامه الطف و أحسن وأغرب من قول الشاعر والفرق مثل الصباح ظاهر. وكأنّه أراد أنّ يَدَ مُعاقِرُها خرقاء ولسانه بذيء وعقله ودينه ناقصات ولو نسب ذلك إلى الندمان في ذم الخمر لكان قادحة فيها))[٥٤].

فنلاحظ كيف بين الصفدي من خلال نقده القياس الغريب واللفظ الغريب والمعنى الغريب وتأتى مزية هذا النقد من جانبين الأول: إنّه أسهم في الحفاظ على اللغة؛ لأنّه حفظ جزءاً مهما من مادتها. والآخر: إنّه بين المعاني الغريبة التي يقل استعمالها.

ومن الظواهر التي رصدها الصفدي أيضاً (ظاهرة النوادر) وقد ألّف الصفدي كتاباً في ذلك اسماه (غوامض الصحاح) جرد فيه كل الكلمات التي رأى فيها غرابةً وغموضاً في ردّها إلى أصولها وهو معجم مرتب على الحروف الهجائية. فمثلا في كلمة (الرونق: بفتح الراء وسكون الواو و نون مفتوحة وبعدها قاف: هو ماء السيف و حسنه. ورونق العمر أورده في رنق)[٥٥]. وكذا كلمة (الطاووس: طائر معروف. يصغر على طويس. وقد أورده في طيس)[٥٦]. ومنها أيضاً كلمة (الإبريسم: قال ابن الأعرابي: هو بكسر الهمزة و الراء و فتح السين، وقال: ليس في كلام العرب افعيلل بالكسر فارسيّ معرب أورده في برسم)[٥٧]. و الكتاب من أوله إلى آخره يجري على هذا النمط.

ومن الظواهر التي رصدها الصفدي أيضاً ظاهرة التطور اللغوي، والصفدي - كما قلنا- كان من الذين سَعوْا للحفاظ على اللغة ولم يرتضوا بالتطور ولم يقبلوا الدخيل عليها. أو الخروج عن المألوف من الاستعمال، لذلك نجده إذا عرض له لفظ غير فصيح أو دون مستوى الفصاحة نبّه عليه وأرشد إلى الاستعمال الفصيح منه، ويؤيد هذا ما جمعه من

كتب لحن العامة والخاصة في كتاب موسوعي كبير أسماه (تصحيح التصحيف وتحرير التحريف) جمع كل ما وقع فيه اللحن معتمداً على سابقيه أمثال أبي أحمد العسكري في كتابه (شرح ما يقع فيه التصحيف)، و الحريري في (درة الغواص)، و الزبيدي في (لحن العوام)، والاصفهاني في (التنبيه على حدوث التصحيف) وغيرهم. وهو وأن لم يكن له رأي وحكم إلّا في القليل النادر إلّا إنّ له هذا الجهد الجهيد والباع المديد في الجمع والتصنيف والترتيب بصورة تُيسِّر للقارئ الرجوع الى كل كتب لحن العامة والخاصة. بوضع رمز معين لكل كتاب يُؤشّر على المطلوب. ومثال ذلك:

قال الصفدي: ((ص ويقولون: (ابطيت علي) و (استبطيتك) والصواب: (ابطأت واستبطأتك) قلت: ويقال (ما أبطأ بك) وما بطا بك بمعنى، وبطآن ذا خروجاً، وبُطآن ذا خروجاً أي بطؤ ذا خروجاً فجعلت الفتحة التي في (بطؤ) على نون (بطآن) حيث أدت عنه ليكون علماً لها ونقلت ضمة الطاء إلى الياء، وإنّما صح فيه النقل لأنّ معناه التعجب أي ما ابطأه))[٥٨].

فحرف (ص) يعني (الصقلّي) فأنظر كيف أضاف إلى ما أورده الصقلي والكتاب يجري على هذا النمط ليُمكّن القارئ من معرفة العامي والمُولّد والمعرّب والدخيل مشفوعاً بالموازنة بين الفصيح والافصح.

٢- الضبط والتصحيح: ولع الصفدي بضبط كل ما وقعت عليه عيناه، فما إنّ تعرض له كلمة حتى يضبطها ضبطاً دقيقاً بكل حروفها وحركاتها وسكناتها، ويفيد هذا النوع من الضبط في سلامة اللغة من التصحيف والتحريف، و كذلك يفيد في بيان الإعراب ومعرفة البيت الشعري أو قائله.

فمثلاً قوله: ((ص ويقولون: ((اتَّخَم)) الرجل، إذا أضر به الشبع، والصواب ((أُتْخِمَ)) فهو مُتْخَم على ما لم يسم فاعله. قلت: يريد أنّهم يشددون التاء و يفتحونها، والصواب أن تخفف وتسكن.))[٥٩].

ومنها قوله: ((قال الجوهري -رحمه الله تعالى- وسدِرٌ أيضاً اسم من اسماء البحر قال امية: (الكامل)

وكـــأنّ برقـــع والملائـــك حولهـــا ســـدر تؤاكلـــهُ القـــوائمُ أجْـــرَبُ[٦٠]

قلت الصواب: اجرد بالدال المهملة لا بالباء لأنّ هذه الأبيات داليه. وقبله

فـــأتمّ ســـتاً مـــا اســـتوت أطباقهـــا وأتي بســـابعة فـــأنى تَـــوردُ[٦١]

ويقع في بعض النسخ: حوله، و الصحيح حولها، لأنّ برقع اسم من اسماء السماء فهو مؤنث، ولذلك لم يتصرف للعلمية والتأنيث)[٦٢].

فانظر كيف يضبط كل ما يعرض له من كلمة أو معنى أو بيت شعري أو إعراب.

٣- الكشف عن أسرار التعبير الأدبي وخصوصيته: فقد كشف لنا الصفدي عن أسرار التعبير ومكامن الحسن والجمال في لغة الأدب، ((فبعد أن يطمئن الناقد إلى سلامة التركيب من الخطأ وموافقته لقواعد اللغة يأخذ في النظر إلى النص مرة ثانية يستعين بذوقه وخبرته الواسعة بالأساليب))[٦٣] فيحكم على النص بالحسن أو بالقبح. فالصفدي من أولئك الذين أظهروا قدرتهم في التعبير اللغوي فمن ذلك في شرحه لبيت الطغرائي: (البسيط)

فـــيمَ الاقَامـــة بـــالزَّورَاءِ لا سَـــكني بهـــا ولا نَـــاقَتِي فِيهَـــا ولا جَمَلـــي[٦٤]

قال: ((وما أعرف أحداً ضمّن هذا المثل، اعني لا ناقة لي في هذا ولا جمل امكن ولا احسن من قول الشهاب أبي الثناء محمود، أنشدني لنفسه إجازة من قصيدة: (من البسيط)

أســـتغفر الله أيـــن الغيـــثُ منفصـــلاً مـــن بـــرِّه وهـــو طـــولُ الـــدهرِ متصـــلُ
مـــن حـــاتمٍ عـــدّ عنـــه وأطَّـــرِحْ مِنـــه في الجـــود لا لســـواه يُضـــرب المثـــلُ
أيـــن الـــذي بـــرَّه الآلاف يتبعهـــا كـــرائم الخيـــل ممّـــن بـــرّه الابـــلُ
لـــو مثَّـــلَ الجـــود الجـــود قـــال حـــاتِمُهُم لا ناقـــةً ليَ في هـــذا ولا جمـــلُ

انظر إلى قلقه في بيت الطغرائي؛ لأنّه عطف الناقة والجمل على السكن ولو عطف ما يناسب ذلك من أهل وولد لكان احسن واوقع في النفس، وانظر إلى وروده في أبيات الشهاب محمود فإنّه جاء في مكانه منسجم التركيب ثابتاً في معناه حتّى كأنّه ما برز إلى الوجود إلّا في هذا المكان ولا ظهر إلّا في هذا القالب))[٦٥].

هذه هي ابرز المزايا التي وجدتها في نقد الصفدي.

ثانياً: عيوب النقد عند الصفدي:-

ومن عيوب النقد عند الصفدي

١- التعصب للمنشئ أو عليه: وقد عيب على الصفدي أنّه كان متعصباً لبعض الأدباء من دون غيرهم. فلم تسلم نظرته إلى النصوص التي ينقدها من الهوى الآسر والغرض المضل وسواء بعد ذلك أنّ يكون الهوى مع النص أو عليه أو يكون الغرض باعثاً على الدفاع أو الهجوم فكلا الموقفين مذموم. ولا يمكن أنْ نطلق على أصحابه نقّاداً أو باحثين[٦٦]. فعلى سبيل المثال نرى الصفدي يمدح القاضي الفاضل ويميل إليه دائماً حينما نجده على العكس تماماً مع ابن الأثير. قال الصفدي: ((لا أطرب لشيء كطربي لاستعارات القاضي الفاضل- رحمه الله- في مثل قوله: (أو تلك الجبهة وإنْ كانت عربية فإنّها مستودع الأنوار، وكنز دينار الشمس ومصب أنهار النهار))[٦٧]. وفي موضع آخر نجده يميل في حكمه للقاضي الفاضل على حساب ابن الأثير في المثل السائر:

قال الصفدي: وقوله -أي ابن الأثير-: (((ومثل جدواها في عيون الاعداء، شيئاً عجابا)، هذا كلام فارغ كالجسد الذي لا روح فيه.

وقوله: (وأراهم في اليقظة إرهابا وإرعابا، في المنام ابلاً صعابا تقود خيلا عِرابا) أصل المعنى لأشجع السلمي: (الكامل)

وعلى عدُوَّك يا ابن عمُ مُحمد ... رَصَدان: ضوءُ الصّبح والاظلامُ

فإذا تنبّه رُعتهُ وإذا غَفَا ... سلَّت عليه سيُوفك الاعلامُ

وما زان سجعته الثانية إلّا تضمينه السجع الذي جاء في رؤية المؤبذين ليلة ولد النبي ﷺ وما جاء في ذلك من كلام سطح.

وابن الأثير احتفل لهاتين السجعتين، و أراد مماثلة القاضي الفاضل في دعاء الكتاب الذي كتبه في فتح القدس ومنه: (ولا زالت غيوث فضله إلى الأدباء انواءً إلى المرابع وانواراً إلى المساجد وبعوث رعبة إلى الأعداء خيلاً إلى المراقب وخيالاً إلى المواقد).

وأنت أيها الواقف على هذه الاوراق حكّم بين هذين الخصمين وبيدك الأمر في الفرق بين الكلامين. (من الكامل)

فمـــن اســـتحق الارتقـــاء فَرَقـــهُ ومَـــن اسْـــتَحطّ فحطّـــهُ في حِشـــه[٦٨]

وإن كان هَواي مال بي إلى كلام القاضي الفاضل))[٦٩] وغيرها من المواضع التي يمدح فيها القاضي الفاضل[٧٠] ويعيب ابن الأثير حتى نجده قد ابتدأ كتابه بمقدمة ذكر فيها قولاً للقاضي الفاضل. وقال في ترجمة ابن الأثير:(إنّ من مضحكات الدنيا وعجائبها إنّ ابن الأثير يعيب كلام القاضي الفاضل)[٧١].

فأنظر كيف مالَ به هواه إلى أن رفع من شأن القاضي الفاضل وأحطَّ من شأن ابن الأثير بعبارات صريحة، فهو هنا قد استند إلى ذوقه في التحكيم؛ لأنّ الأمر يتعلق بالإنشاء والتأليف وليس من المسلمات التي يرجع بها إلى سابقيه.

٣- في بعض مواضع النقد عند الصفدي نجد أنّه ناقل وليس ناقداً فمثلاً في نقده للجوهري لكتابه الصحاح نجده يعلق على عبارة الجوهري بتعليق هو في الواقع ليس له وإنّما أخذه من ابن بري أو غيره ممّن تصدى لنقد الصحاح، نعم في بعض المواضع نجده ينسب القول فيقول مثلاً (قال ابن بري) ولكن في مواضع أخرى يقول قلت وبعد التدقيق والتمحيص نجد أنّ العبارة لابن بري مثلاً أو لغيره نقلها تماماً و هو يقول (قلت)[٧٢] فيوهم القارئ بإنّ هذا النقد أو الرد هو منه. وهذا العيب وجدته يوجهه لابن الأثير حين يعلق على بعضٍ من إنشائه[٧٣].

وإنشاء ابن الأثير في نظري لا يُعدّ من السرقة في شيء؛ لأنّه إعادة لصياغة الألفاظ وإنْ كانت المعاني واحدة. قال الجاحظ: ((المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتغيير اللفظ وسهولة المخرج و كثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك))[٧٤] وهذا يعني أنّ الاختلاف بين أديب وأديب آخر يكون في صياغة المعاني لا بالمعاني نفسها. فابن الأثير لم يسرق لأنّه صاغ العبارة بألفاظه ولكن العبرة بمن أخذ النص وسرقه وادعى أنّه له، وليس جديداً هذا الأمر فقد نقل الشوكاني في ترجمته له في البدر الطالع أنّه (كان يختلس معاني شعر شيخه ابن نباته وينظمها

لنفسه وقد صنف ابن نباته في ذلك مصنفاً سماه (خبز الشعير المأكول المذموم) وبين سرقاته لشعره)[٧٥] وقد زعم الصفدي أنّ الشيخ عمر بن الوردي قد سرق معانيه "معاني الصفدي" قال: (فهو مع ما له من القدرة والتمكن في فن الأدب وكونه إذا تصدى للنظم تنسل إليه المعاني من كل حدب لا يسلم من الاغارة على من سواه واغتصاب ما سبقه إليه غيره وما حواه، ولا يعفُ عمّا هو عن تقدمه أو عاصره أو استسلم له أو حاصره)[٧٦].

الخاتمة:ـ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ الأعراف:٤٣.

جرت الأمور في موارد هذه الدراسة في الحديث عن صفة بارزة ميَّزتْ شخصية من الشخصيات اللغوية والأدبية تلك هي شخصية العلَّامة صلاح الدين الصفدي توصلت فيها لعدة نتائج أهمها:

١- إنَّ الظروف الأُسرية والبيئية والثقافية التي أحاطت بشخصية الصفدي قد أحكمت سطوتها على شخصيته الأدبية والموسوعية ونضَّجتْ من بُعدها النقدي.

٢- إنَّ ما صدر عنه من نقدات توزع بين إشارات ذوقية وبين تقويمات موضوعية غطت المساحة الأكبر في نقده.

٣- لم يتخلص الصفدي من سطوة المقاييس والمعايير المتوارثة التي جذَّرها اللغويون الروَّاد في المتن اللغوي.

هوامش البحث

(١) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تح: عبد الفتاح الحلو، ومحمود محمد الطناحي، ١٠: ٥، والبداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي تح: عبد الله بن عبح المحسن التركي، ١٨: ٦٨٠، المقفى الكبير، تقي الدين المقريزي، تح: محمد اليعلاوي،٣: ٧٦٧، الدار الكامنة، ابن حجر العسقلاني،٢: ٨٧، المنهل الصافي، ابن تغري بردي، تح: محمد محمد أمين،٥: ٢٤١-٢٥٨، شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، تح: محمود الأرناؤوط،٨: ٣٤٣، البدر لطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، ١: ٢٤٣.

(٢) ينظر: طبقات الشافعيه الكبرى،١٠: ٥، والمقفى الكبير،٣: ٨٦٧، والدرر الكامنة،٢: ٨٧، والمنهل الصافي،٢: ٢٤١-٢٥٨.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى،١٠: ٥.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٥) ينظر: الدرر الكامنة،٢: ٨٧، والبدر الطالع،١: ٢٤٣-٢٤٤.

(٦) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، ١٠: ٥، والمنهل الصافي،٥: ٢٤١، والمقفى الكبير، ٣: ٧٦٧-٧٦٨، والأعلام، خير الدين الزركلي، ٢: ٣١٥-٣١٦.

(٧) الوافي بالوفيات، الصفدي: تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى،١٢: ١٦٠.

(٨) المصدر نفسه، ١٦: ٢٨١.

(٩) المصدر نفسه،٧: ١٥.

(١٠) المصدر نفسه، ٣: ٥٢.

(١١) المصدر نفسه، ٥: ١٧٦، نكت الهميان في نكت العميان، الصفدي: ٢٨٠، وينظر: الدرر الكامنة،٢: ٨٧، شذرات الذهب،٨: ٣٤٣، البدر الطالع، ١: ١٤٣.

(١٢) الوافي بالوفيات،٢: ١١٤، وينظر: شذرات الذهب، ٨: ٣٤٣.

(١٣) أعيان العصر وأعوان النصر، الصفدي تح: علي أبو زيد وآخرون،٣: ٤١٧، وينظر: الوافي بالوفيات،٢١: ١٦٦، وشذرات الذهب،٨: ٣٤٣.

(١٤) ينظر: المنهل الصافي،٥: ٢٤٣-٢٤٤.

(١٥)ينظر: طبقات الشافعية الكبرى،١٠: ٥، والبداية والنهاية،١٨: ٦٨٠.

(١٦)ينظر: لسان العرب، ابن منظور،١: ٣٩٤، والمعجم العربي الاساسي، جماعة من كبار اللغويين العرب: ٤٨٧ (ذهب)

(١٧)ينظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي تح: د. مهدي المخزومي،و د. إبراهيم السامرائي، ٥: ١١٨،وجمهرة اللغة، ابن دريد،٢: ٢٩٤،وتهذيب اللغة تح: عبد السلام محمد هارون،٩: ٣٦، ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس تح: عبد السلام محمد هارون،٥: ٤٦٧.

(١٨) في الميزان الجديد، محمد مندور: ١٧٨.

(١٩)النقد، شوقي ضيف: ٩.

(٢٠) ينظر: محاضرات في تاريخ النقد، ابتسام مرهون الصفّار: ٧.

(٢١)ينظر: في النقد الأدبي القديم عند العرب، مصطفى عبد الرحمن أبراهيم: ٣٠.

(٢٢) ينظر: النقد اللغوي بين التحرر و الجمود، نعمة رحيم العزاوي: ١٤.

(٢٣)ينظر: المصدر نفسه: ١٢-١٤.

(٢٤)ينظر: في النقد الأدبي الحديث، تطبيقات ومنطلقات: ٩٥.

(٢٥)ينظر: مشكلة السرقات في النقد العربي، محمد مصطفى هدارة: ٢١٠.
(٢٦) ينظر: النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، نعمة رحيم العزاوي: ١٦٤.
(٢٧) ينظر: النظرية النقدية عند العرب د. هند حسين طه : ٢٢٧.
(٢٨) شعر ابن طبا طبا العلوي، تح: شريف علاونة: ٦٨.
(٢٩)الغيث المسجم في شرح لامية العجم،صلاح الدين الصفدي، ١: ٣٤٦.
(٣٠) ينظر: كتابه الوافي بالوفيات،٣: ٨٣،٩٠، ١٤،٨٥، ٢: ٢٣٧، ٢٤٩، ٢٦٠.
(٣١) البيتين وردا في ديوان الصبابة،لابن حجلة، للشاعر أبو الحسين التونسي: ٢٠٨-٢٠٩.
(٣٢) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري،٣: ٢٥٢
(٣٣) الوافي بالوفيات، ٢: ٤٦-٤٧.
(٣٤) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير،١: ٣٠٠.
(٣٥)نصرة الثائر على المثل السائر، الصفدي: ١٦٣.
(٣٦)البيت لسويد بن الصامت الأنصاري كما في سمط اللآلي للوزير أبي عبيد البكري،١: ٣٦١.
(٣٧)الصحاح،1 :581 ، (قرح)
(٣٨)البيت لجندل الطُّهوي في "فُرحة الأديب"، للأسود الغندجاني: ١٧٢ و ويروى: وكاحلاً عينيّ بالعواورِ.
(٣٩) ديوان لبيد بن ربيعة: ٦٥.
❖ كذا وردت والصحيح (تقلب).
(٤٠) نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم، صلاح الدين الصفدي: ١٥١، وينظر: الإيضاح العضدي (التكملة)، أبو علي الفارسي، ٢: ٤٥٨، وإيضاح شواهد الإيضاح، القيسي: ٨٩٦.
(٤١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري،٣: ٢٥٢،ويروى: ولذا اسم اغطية العيون جفونها...
(٤٢) ديوان سبط ابن التعاويذي: ٤١٣.
(٤٣) شرح ديوان أبي تمّام، التبريزي،١: ٨٣، ورواية الديوان (للب) بدل (لنفس).
(٤٤) مقامات الحريري: ٧٤.
(٤٥) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري،١: ٦، وفي الديوان (بفدائه) بدل (بعذابه).
(٤٦) ديوان ابن الخياط: ١٧١.
(٤٧) ديوان بشار بن برد،٢: ٧٥.
(٤٨) البيت ورد في الأغاني، أبو الفرج الاصفهاني،١٩: ١٧٥.
(٤٩) تشنيف السمع بانسكاب الدمع، صلاح الدين الصفدي: ١٩-٢٠، وينظر: الغيث المسجم في شرح لامية العجم،٢: ٢٩.
(٥٠) الصحاح
(٥١) نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم: ٧١-٧٢.

(٥٢) البيتان وردا في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد المقري التلمساني،٢: ٢٤٨.
(٥٣) نصرة الثائر على المثل السائر: ١١٠،وينظر: المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ابن الأثير،١: ١١٨. (بتبغيض خمارها) بدل (بتنعيص)
(٥٤) نصرة الثائر على المثل السائر: ١١٠-١١١.
(٥٥) غوامض الصحاح: ١٠٤.
(٥٦) المصدر نفسه: ١١٨.
(٥٧) المصدر نفسه: ٦٥.
(٥٨) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف: ٧٥.
(٥٩) المصدر نفسه: ٧٨.
(٦٠) ديوان أمية بن أبي الصلت، تح: سجيع جميل الجبيلي: ٥٣.
(٦١) المصدر نفسه: ٥٢.
(٦٢) نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم: ٢٢٣.
(٦٣)ينظر: النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري: ٣٥٩.
(٦٤) ديوان الطغرائي، تح: علي جواد الطاهر ويحيى الجبوري: ٣٠١.
(٦٥) الغيث المسجم في شرح لامية العجم،١: ١١٨-١١٩.
(٦٦) ينظر: النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري: ٤٠٥.
(٦٧) الغيث المسجم في شرح لامية العجم، ١: ٣٠١-٣٠٢.
(٦٨)مقامات الحريري: ١٧٨.
(٦٩)نصرة الثائر على المثل السائر: ٣٠٥.
(٧٠) الغيث المسجم في شرح لامية العجم،١: ٢،٢٩٥،٢٨٥: ٦١،٤٦١.
(٧١) الوافي بالوفيات، ٢٧: ٢٤.
(٧٢) ينظر: نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم: ٢٥١-٢٥٢.
(٧٣) ينظر: نصرة الثائر على المثل السائر: ١٠٣،والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ١: ١١٠-١١١.
(٧٤) كتاب الحيوان، الجاحظ،٣: ١٣١.
(٧٥) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني،١: ٢٤٤، وينظر: خزانة الأدب وغاية الارب، ابن حجة الحموي: ١٧.
(٧٦) اعيان العصر واعوان النصر،٣: ٦٧٨.

قائمة المصادر

- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، ط١٥، دار العلم للملاين، بيروت-لبنان، ٢٠٠٢م.
- أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، قدّم له: مازن عبد القادر المبارك، ط١، دار الفكر بدمشق، ١٤٨١هـ - ١٩٩٨م.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين، طبعة جديدة مصححة، ط ١، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٤١٥/١٤١٤هـ -١٩٩٤م.
- إيضاح شواهد الإيضاح، أبو علي القسي، تحقيق: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- الإيضاح العضدي (التكملة)، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق: دكتور حسن شاذلي فرهود، ط١، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط١ و دار هجر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، د. ط، دار الكتاب العرب، القاهرة، (د.ت).
- تشنيف السمع بانسكاب الدمع، صلاح الدن الصفدي، ط١، مطبعة الموسوعات، مصر، ١٣٢١هـ.
- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، الصفدي، تحقيق: السيد الشرقاوي، مراجعة الدكتور رمضان عبد التواب، ط١، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- تهذيب اللغة، لأبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تح: عبد السلام محمد هارون، مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة،(د.ت).
- كتاب جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي البصري، ط١، مجلس دائرة المعارف، ١٣٤٤هـ.
- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، د. ط،(د. ت).
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثانية، ابن حجر العسقلاني، د. ط، (د. ت).
- ديوان ابن الخياط، أبو محمد عبد الله أحمد بن محمد بن علي التغلبي بن الخياط الدمشقي، رواية تلميذه: أبي عبدالله محمد القيسراني، تحقيق: خليل مروم بك، د. ط، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالبنيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، د. ط، دار المعرفة، بيروت – لبنان، (د. ت).
- ديوان أمية بن أبي الصلت، جمعه وحققه وشرحه: د. سجيع جميل الجبيلي، ط١، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٩٩٨م.
- ديوان بشار بن برد، ناشره ومقدمه وشارحه ومكمله: محمد الطاهر ابن عاشور، علق عليه: محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين، د. ط، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م.
- ديوان سبط ابن التعاويذي أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله، صححه: د.س. مرجليوث، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩٠٣م.
- ديوان الصبابة، شهاب الدين أحمد بن حجلة المغربي، د. ط، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٧م.
- ديوان الطغرائي، تحقيق: د. جواد علي الطاهر و يحيى الجبوري، ط٢، مطبعة الدوحة الحديثة، الدوحة – قطر، ١٩٧٢م.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، د. ط، دار صادر، بيروت، (د. ت).
- سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي، أبو عبيد البكري الأونبي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، د.ط، دار الكتب العلمية، ١٣٥٤هـ – ١٩٣٥م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن عماد الحنبلي، أشرف على تحقيقه: عبد القادر الأرناؤوط، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
- شرح ديوان أبي تمام، الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه ونهايته: راجي الأسمر، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
- شعر ابن طباطبا العلوي الاصبهاني أبو الحسن محمد، تحقيق: د. شريف علاونة، د.ط، دار المناهج، ٢٠٠٢.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعي بن حمّاد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان(د.ت).
- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، د. ط، دار احياء الكتب العربية، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م.

- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، د. ط، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٨م.
- غوامض الصحاح (معجم تراثي في معرفة أصول الألفاظ)،صلاح الدين الصفدي، تحقيق: د. عبد الإله نبهان، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ١٩٩٦م.
- الغيث المسجم في شرح لامية العجم، صلاح الدين الصفدي، طبعة جديدة ومصححة، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- فُرحة الأديب، أبو محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني، تحقيق: د. محمد علي سلطان، د. ط، دار النبراس، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
- في الميزان الجديد، د. محمد مندور، ط١، تونس، ١٩٨٨م.
- في النقد الأدبي القديم عند العرب، مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، د. ط، مكة للطباعة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، د. مط، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م.
- لسان العرب، ابن منظور، د. ط، دار صادر، بيروت، (د. ت).
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه: د. أحمد الحوفى وبدوي طبانة، ط ٢، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة، د. ت.
- محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، د. ابتسام مرهون الصفار وناصر حلاوي، ط، منشورات العطار، ١٤٣٥هـ.
- مشكلة السرقات في النقد العربي دراسة تحليلية مقارنة، محمد مصطفى هدارة، د. ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.
- المعجم العربي الأساسي، جماعة من كبار اللغوين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د. ط، تونس، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن بن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، د. ط، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- مقامات الحريري، د. ط، دار بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

- المقفى الكبير، تقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت - لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، يوسف بن تغرى بردي الأتابكى، جمال الدين أبو المحاسن، حققه: د. محمد محمد أمين، قدمه: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨م.
- نصرة الثائر على المثل السائر، صلاح الدين الصفدي، تحقيق: محمد علي سلطان، د. ط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- النظرية النقدية عند العرب، د. هند حسين طه، د. ط، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨١م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، حققه: د. إحسان عباس، د. ط، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم، صلاح الدين الصفدي، تحقيق: محمد عايش، ط١، شركة البشائر الاسلامية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- النقد، شوقي ضيف، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٤م،
- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، د. ط، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧م.
- النقد اللغوي بين التحرر والجمود، نعمة رحيم العزاوي، د.ط، منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد - الجمهورية العراقية،١٩٨٤م.
- النقد اللغوي حتى نهاية القرن السابع الهجري، نعمة رحيم العزاوي، د. ط، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨ م.
- نكت الهميان في نكت العميان، صلاح الدين الصفدي، وقف على طبعه: أحمد زكى بك، د. ط، المطبعة الجمالية، مصر،١٣٢٩هـ - ١٩١١م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، ط ١، دار الاحياء للتراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.